ان يصير غير محتمل للتأخير فإنه لا يفعل هذا الا ما تدعوا اليه الضرورة في الحال فقال النصيم شيئ وقطع الغرض شيئ آخر ثم سئل متولي العمارة عن
كيفية ما يكتب ليطالع به المسامع الشريفة فقال له القضائي الزكوي قاضي الشافعية واحد الناظرين سامحه الله تعالى شرح الحال عند الهدم وكتبة
المحضر علينا وخافت متولي العمارة بالإنكار عليه في احضاري وحثه على الإعراض عن كلامي ثم ان متولي العمارة ذكر لي انه راى رؤيا
فهم منها الهدم فصمم عليه ورأيت عنده من شجاعة الجنان وثبات الجاش في هذا الامر ما لا يوصف وبلغني ان بعض الناس ذكر له ان ما
سبق من كلامي دليل على ما كان قد القاه اليه من حرصي على ان لا يكون هذه العمارة على يديه وان لا يفوز بهذه المنقبة العظيمة
التي لم يسبق اليها ومن يسمع يخل ولكني اشهد الله ورسوله على انه لم ارد سوى محض الوفا بما اوجبه الله علينا من الأدب مع حبيبه صلى الله
عليه وسلم ومن بذل النصيحة ثم في صبيحة الرابع عشر من شعبان المذكور شرعوا في هدم المحل الشريف المتقدم ذكره من الجدار الظاهر
فهدموا جانبا من الصفحة الشرقية وما يليها من الصفحة المنحرفة منها الى جهة الزاوية الشمالية وسعة ذلك خمسة اذرع بذراع
اليد وذلك من بعد نحو اربعة اذرع من الأرض الى رأس الجدار المذكور فظهر حينئذ هدم الحريق الذي في الفضا الكائن بين جداري
الحجرة الشريفة ورأينا فيه كثيرا من الأخشاب المحترقة قد سلم من بعضها قدر الذراع ونحوه ثم في خامس عشر الشهر المذكور حضروا
لتنظيف ذلك وتوجه متولي العمارة لشيخنا العارف بالله تعالى سيدي شهاب الدين الابشيطي قدس الله روحه وسأله في الحضور
للتبرك به فحضر في خارج الجدار وامتنع من الدخول وقرا الفاتحة وقال نظفوا على بركة الله ثم انصرف وقال لي بعد ذلك ذكروا
لنا ان هدم ذلك ضروري فقلنا لهم الضروري يعمل بمحله ولا الازالة ذلك شاهدت امرا مهولا من ردم الحريق بحيث لم تتأتى
ازالته الا بالمعاول والمساحي وتحققت بسبب ذلك عذر من ادرك زمن الحريق في عدم ازالة ما بالحجرة الشريفة منه لما قدمناه
وكان ارتفاعه في ذلك المحل نحو القامة وهو ردم من السقف الأعلى وجص واجر من الجدار الذي كان على سقف المسجد لتمييز
الحجرة الشريفة عن غيرها كما تقدم بيانه ومما كان على رؤوس الأساطين وما احترق من اخشاب ذلك فاشتغلوا بتنظيفه وتزاحم
الناس عليه فاستمروا في ذلك حتى بلغوا في تنظيفه الأرض القديمة بحيث ظهر حصب ذلك المحل حصبا يشبه ما في المسجد غير
انها قد اسودت من نداوة الأرض واعتبرت التفاوت بين الأرض المرخمة خارج الجدار الظاهر والأرض المذكورة بداخله
فكانت الأرض المذكورة اعني الداخلة بين الجدارين اخفض من الخارجة بذراع وثلث بذراع اليد وظهر من وصف البناء الداخل
ما قدمناه في الفصل الثاني والعشرين من كونه مربعا بأحجار منحوتة عليها ابهة عظيمة وان الصفحة الغربية منه ملاصقة للصفحة
الغربية من البناء الظاهر وليس بينها ولا منفذ اربع وانه لا باب فيه ولا موضع باب وفي الصفحة الشمالية لاصق بها الأسطوان
التي قدمنا وصفه وان بعضه داخل في الصفحة المذكورة وقد اثر فيه الحريق كما قدمناه حتى تشظى بعضه سيما في اعاليه
وهو في صفة مربعة القبر يليها من جهة المشرق وتبين حينئذ ما في الجدار الداخل من الانشقاق المتقدم وصفه في
شماله مما يلي المشرق فادخلوا فيه شمعة فشاهدوا فيما يقابله من الجدار القبلي مما يلي المشرق ايضا انشقاقا مثله وتبين لي
أن البناء المتقدم وصفه بين الجدارين القبليين في موازات الأسطوانة الظاهرة في الجدار القبلي التي يقف عندها المسلم على عمر رضي
الله عنه انما جعل ادعاما للجدار المذكور لما حدث به ذلك الانشقاق وظهر ما ادعموا به من الأخشاب بين الجدار الداخل والخارج
في جهة المشرق على ما قدمناه فتردد متولي العمارة في نقب الجدار الشامي لاحكام ذلك الشق وترميم الشق المقابل له
ثم عزم على هدم الجدار المذكور اعني جدار الحجرة الداخل من جهة الشام بأجمعه فبدا برفع السقف الذي وجد على الحجرة نفسها
لما قدمناه وحينئذ ظهر لهم ساحة الحجرة الشريفة وستر الله تعالى القبور الشريفة عن الأعين بالردم ثم علمت ان الموطن يطلب
فيه من التثبت والأدب التام ما لا يطلب في غيره فانصرفت عازما على ان لا احضر معهم ما داموا في تعاطي الهدم وان احضر معهم في البنا

ثم اخاضوا في عقد قبة بسفله على جدار الحجرة الداخل رعاية للاتقان والاحكام فكرهت ذلك لعلمي انه يجر الى هدم معظم
الحجرة مع ما فيه من تغيير الهيئة الأولى ثم في حادي عشر شعبان المذكور اجمعوا امرهم على ذلك فشرعوا في هدم الجدار الشامي والشرقي من البناء
الداخل فوجدوا في الجانب الذي يلي المغرب من الجدار الشامي وكذا فيما يقابله من القبلي وكذا في الغربي عند ما هدموا اسفل السترة المبنية على السقف
المحترق بين فصوص الأحجار واعلاها مع رأس الجدر المذكورة لبنا غير مشوي طول اللبنة منها نحو من ذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه ربع
ذراع وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد وهو نصف ذراع لم يجد واشتمل ذلك في الجدار الشرقي ولا فيما يليه من الشامي والقبلي وقد عاب بعض
الناس على الأقدمين في وضعهم ذلك في الجدار ونسبهم به الى التعصيد وربما قال ان البنايين زمن الوليد لما امر ببناء المسجد على يد عمر بن عبد العزيز
كانوا كفارا وان ذلك من غشهم وهذا جهل من قائله وقد قدمنا من شرح حال بناء الحجرة ما فيه كفاية وتقدم ان عمر بن الخطاب او ابن الزبير
هو الباني للحجرة على ما رواه ابن سعد ولو سلم ان تلك البناية في ولاية عمر بن عبد العزيز للعمارة المتقدمة فهو اتقى لله من ان يهمل قبر
نبيه بيد الكفار حتى يغشوا في بنائه بمثل ذلك وقد ظهر لي في ذلك ان السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالأحجار لقصد الاحكام وابقا
وكان ما عدا الأساس منها مبنيا باللبن في عهده صلى الله عليه وسلم كما يوخذ مما قدمناه فرأوا ان لا يخلوا بناءهم من بركة ذلك اللبن فوضعوا
منه ما رأوا فيه الصلابة بين الأحجار المبنية بالقصة ولولا اتقان ذلك البناء لما مكث هذه المدة المديدة والعجب ان الخلل والانشقاق
لم يحصل الا في الناحية الخالية منه وقد قدمنا ان الذي يظهر ان تلك الناحية سقطت واعيدت واختلاف البناء بين شاهد بذلك
حتى ان الجدار الشرقي لم يكن مبنيا بالحجارة المواجهة الا من داخله دون خارجه وعرض منقبة اقل من عرض بقية الجدار ولما
بلغوا في هدم الجدار الشامي ارض الحجرة الشريفة شرعوا في تنظيف الردم الساتر للقبور الشريفة وذلك في صبيحة الثالث والعشرين
من شعبان المذكور ومكثوا في ذلك الى غروب الشمس مع كثرتهم حتى بلغني ان الحجرة الشريفة امتلأت بهم ولم يخصوا مكانا دون مكان فظنوا
ان القبر الشريف النبوي قريبا من وسط الحجرة وليس كذلك كما سنبينه ووضعوا ما اخرجوه من الردم عند طرف المسقف الغربي في زاويته الملاصقة
بمسقف الدكاك وبنى عليه متولي العمارة تلك الدكة البارزة هناك ثم وفى القضائي الزكوي بما وعد به متولي العمارة من كتابة المحضر
وكتب فيه اهل المدينة ولم اكتب فيه واعتذرت بأنه لم يسبق لي عادة بمثل ذلك وبعثوا به الى مصر المحروسة فلما كان في صبيحة الخامس و
العشرين من الشهر المذكور بعث الي متولي العمارة لأتبرك بمشاهدة الحجرة الشريفة بعد تنظيفها وصار قايل يقول ظهر القبر الشريف وقايل
يقول لم يجد والجميع القبور الشريفة اثر فحضني داعي الشوق وغلبة الوجد واستحضرت ما وقع لبعض السلف من سؤاله لعائشة رضي فحضني
الله عنها ان تريه القبور الشريفة وغير ذلك مما سبق وما سيأتي في باب الزيارة ووصف السلف للقبور الشريفة وذكرهم ذرع الحجرة
الشريفة وكيفيتها كما تقدم فعزمت على الاقدام وتمثلت بقول بعضهم ولو قيل للمجنون ارض اصابها غبار ثرى ليلى لجد واسرعا
لعل يرى شيئا له نسبة لها يعلل قلبا كاد ان يتصدعا فظهرت وتوجهت لذلك مستحضرا عظيم ما توجهت اليه وموقع المثول بيت
اوسع الخلق كرما وعفوا وذلك هو المعول عليه واستحضرت قول بعضهم عجبت فقل لي كيف القى محمدا ووجهي بأثواب المعاصي مبرقع
ثم انشدت الذي يليه عسى الدين اجل الحبيب وقربه يداركني العفو والعفو اوسع وسألت الله ان يمنحني حسن الأدب في
ذلك المحل العظيم وان يلهمني ما يستحقه من الاجلال والتعظيم وان يرزقني منه القبول والرضى والتجاوز عما سلف ومضى فاستأذنت
ودخلت من مؤخر الحجرة ولم اتجاوز ذلك المحل فشممت رائحة ما شممت في عمري رائحة اطيب منها ثم سلمت بوجل وحياء على اشرف الأ
نبياء ثم على ضجيعيه خلاصة الأصفياء ودعوت بما تيسر من الدعوات وتشفعت بسيد اهل الارض والسموات واستنزلت به
في بليته من الأزمات واغتنمت هذه الفرصة في جميع الحالات ولله در القايل تمتع ان ظفرت بنيل قرب وحصل ما استطعت
من ادخار فقد وسعت ابواب التداني وقد قربت للزوار داري وقد هبت نسيمات لنجد فطب واشرب بكاسات كبار

Copyright © King Saud University